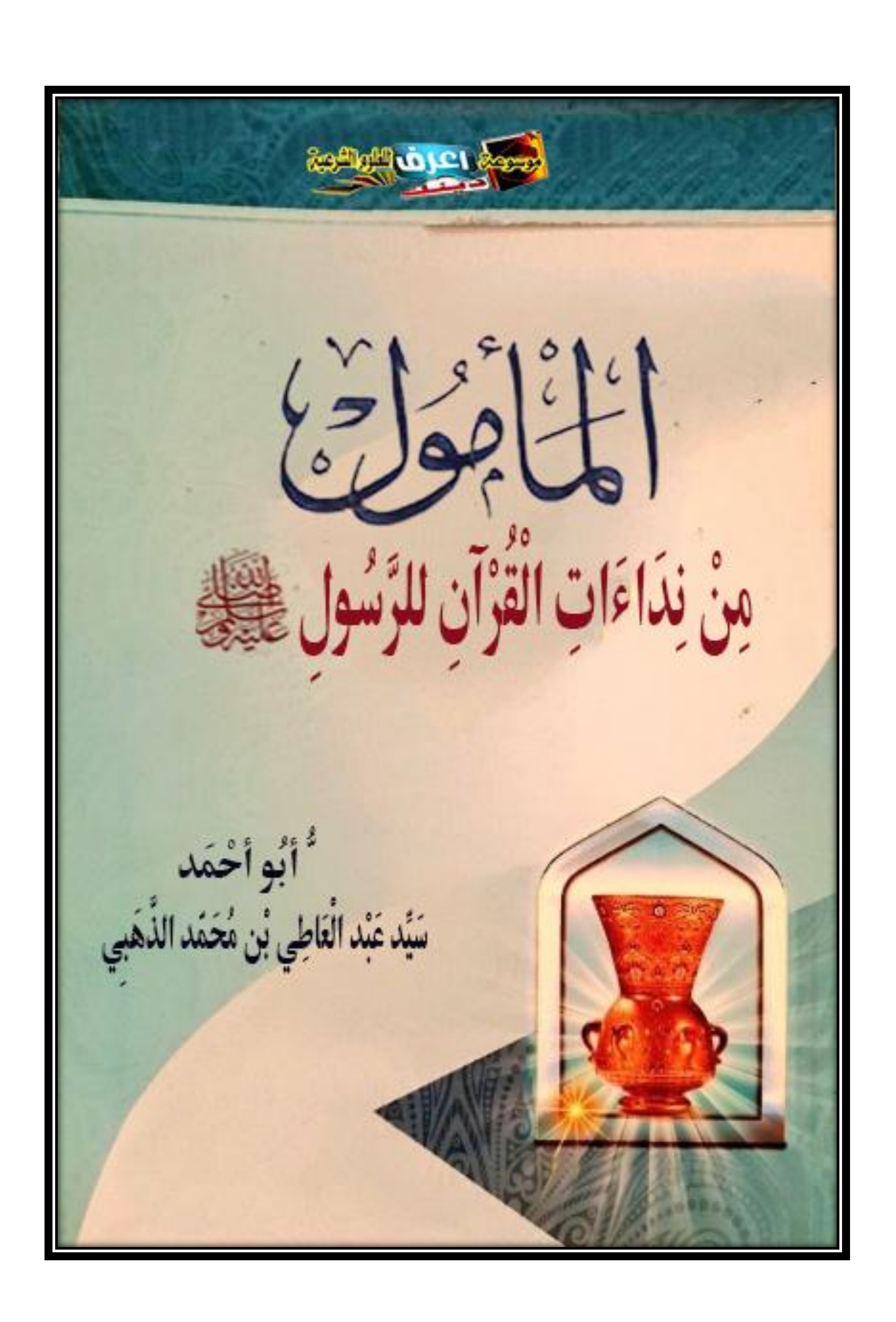

موسوعة اعرف للعلوم الشرعية
المأمول
مِنْ نِدَاءَاتِ الْقُرْآنِ لِلرَّسُولِ ﷺ
أبُو أحْمَد
سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِي

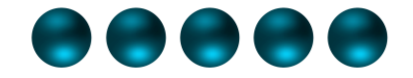


الْحَمْدُ للَّهِ الْمُتفَرِّدِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَسِعَ كُلَّ شَيء رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا آلَاءً وَأفْضَالًا وَنِعَمًا، أحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ،وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَأشْهَدُ ألَّا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،أعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا، فَتَحَ اللَّهُ بِهِ أعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ،وَعَلَى آلِهِ وَأصْحَابِهِ وَأزْوَاجِهِ،خَيْرِ الْأمَّةِ سِيرَةً وَنَهْجًا، وَأزْكَاهُمْ بِرًّا وَتَقْوىً، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإحْسَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإيَّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ نِدَاءَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ للنَّبِيِّ الْكَرِيمِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ({الْمَأمُولُ مِنْ نِدَاءَاتِ الْقُرْآنِ للرَّسُولِ–ﷺ–})سَائلًا اللَّهَ تَعَالَى أنْ يَجْعَلَهَا لِوَجْهِهِ خَالِصَةً،وَمِنَ النِّيرَانِ مُخَلِّصَةً،وَإلَى الْجِنَانِ مُقَرِّبَةً آمِين،هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ مُمَهِّدًا:

–لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–تَكْرِيمًا مَا كَرَّمَهُ لأحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ،فَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:



(أ)التَّكْرِيمُ فِي النَّسَبِ:

لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي النَّسَبِ فَجَعَلَهُ فِي أشْرَفِ الْأنْسَابِ،وَقَدْ حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا النَّسَبَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ،حَتَّى جَاءَ مِنْهُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–هِدَايَةً وَرَحْمَةً للعَالَمِينَ،وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ذَلِكَ لِيُعَظِّمَ النَّاسُ قُرَيْشًا وَبَنِي هَاشِمٍ الَّذِينَ هُمْ صُلْبُ نَسَبِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

–فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٢٢٧٦)مِنْ حَدِيثِ وَاثِلَة بْنِ الْأَسْقَعِ اللَّيْثِيِّ أَبُو فسيلَة–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ،وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ،وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ}.

–فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ–عَلَيْهِمَا السَّلَامُ–،وَصَفْوَةُ الشَّيءِ: خِيَارُهُ وَأَفْضَلُهُ، قِيلَ: مَعْنَى اخْتِيَارِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ: تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُ بِصِفَاتِ كَمَالِ نَوْعِهِ، وَجَعْلُهُ إِيَّاهُ أَصْلًا لِذَلِكَ النَّوْعِ، وَإِكْرَامُهُ لَهُ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَنَافِذِ حُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ عَلَيْهِ، وَقدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}.(القصص: ٦٨)، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ كِنَانَةَ –وَهُوَ ابْنُ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ– مِنْ جُمْلَةِ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ، وَاخْتَارَ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَهُمْ أَوْلَادُ نَضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، كَانُوا تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، وَجَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فِي مَكَّةَ، فَسُمُّوا قُرَيْشًا؛ لأَنَّهُ قَرَشَهُمْ، أَيْ: جَمَعَهُمْ فِي الْحَرَمِ مِنْ حَوَالَي مَكَّةَ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ قُرَيْشًا بِمُصَغَّرِ الْقِرْشِ، وَهِيَ دَابَّةٌ بَحْرِيَّةٌ تَخَافُهَا دَوَابُّ الْبَحْرِ كُلُّهَا، وَكَذَلِكَ قُرَيْشٌ سَادَاتُ النَّاسِ جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَتِهِمْ قُرَيْشًا، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَكَارِمُ؛ مِنْهَا: السِّقَايَةُ، وَالْعِمَارَةُ، وَالرِّفَادَةُ، وَالْحِجَابَةُ، وَغَيْرُهَا، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ آلَ اللَّهِ،وَجِيرَانَ اللَّهِ.وَاصْطَفَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَهُمْ بَنُو هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ، وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى عَدْنَانَ،وَاصْطَفَاهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.وَنَسَبُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى عَدْنَانَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

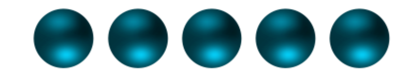
–وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ مِنَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مَنْ جَعَلَهُ مَعْدِنَ نُبُوَّتِهِ، وَمَحِلَّ رِسَالَتِهِ، فَأَوَّلُهُمْ: آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ مِنْ نُطْفَتِهِ نُطْفَةً كَرِيمَةً، فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُلُهَا مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، فَكَانَ مِنْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(آل عمران:٣٣-٣٤).

-وَفِي الْحَدِيثِ:اصْطِفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ خِيَارِ الْأَنْسَابِ.

-وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ بِرَقَمِ

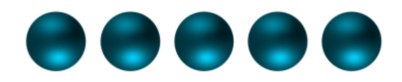
(٤٧٢٨)وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقَمِ(٣٢٢٥)مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ ،وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَ أُمِّي،لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيءٌ}.



(ب)التَّكْرِيمُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُحِيطَةِ بِهِ:

-وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَكْرِيمُ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَأَبُوهُ(عَبْدُ اللَّهِ)فِي زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي تُعَبِّدُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى كـ(عَبْد شَمْس)،و(عَبْد عَمْرو)،وَ(عَبْد الْكَعْبَة)،وَأُمُّهُ (آمِنَة بِنْت وَهْب)أَمْنٌ وَهِبَة وَعَطَاءٌ،وَقَابِلَتُهُ هِيَ(الشِّفَاء)أمّ عَبْدِ الرَّحمَن بْنِ عَوْفٍ،وَأَوَّلُ مُرْضِعَةٍ لَهُ هِيَ(ثُوَيْبَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ)جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ ثَوَابٌ وَسِلْمٌ وَسَلَامٌ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-وَمُرْضِعَتُهُ(حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ)

حِلْمٌ وَسَعَادَةٌ وَرَجَّحَ الْعُلَمَاءُ إِسْلَامَهَا هِيَ وَزَوْجُهَا-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-،وَحَاضِنَتُهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهِ هِيَ(أُمُّ أَيْمَن بَرَكَة بِنْت ثَعْلَبَة الْحَبَشِيَّة)بَرَكَةٌ وَيُمْنٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-.



(ج)تَزْكِيَتُهُ فِي عِلْمِهِ وَقَصْدِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَجَوَارِحِهِ:

•لَقَدْ زَكَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي شَأنِهِ كُلِّهِ فَقَالَ تَعَالَى:{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}.(النَّجم:٢).

–فَقَدْ أقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَدْرِ السُّورَةِ بِالنُّجُومِ إذَا غَابَتْ،

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، تَنْزِيهُ الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنِ الضَّلَالِ فِي عِلْمِهِ، وَالْغَيِّ فِي قَصْدِهِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أنْ يَكُونَ مُهْتَدِيًا فِي عِلْمِهِ، هَادِيًا، حَسَنَ الْقَصْدِ، نَاصِحًا للأمَّةِ بِعَكْسِ مَا عَلَيْهِ أهْلُ الضَّلَالِ مِنْ فَسَادِ الْعِلْمِ، وَفَسَادِ الْقَصْدِ

–وَقَالَ {صَاحِبُكُمْ} لِيُنَبِّهَهُمْ عَلَى مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْهُ، مِنَ الصِّدْقِ وَالْهِدَايَةِ، وَأنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ أمْرُهُ

•وَزَكَّاهُ رَبُّهُ تَعَالَى فِي مَنْطِقِ لِسَانِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}.(النَّجم:٣–٤).

–{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ} أيْ: لَيْسَ نُطْقُهُ صَادِرًا عَنْ هَوَى نَفْسِهِ،فَمَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوىً وَغَرَضٍ.

–{ إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوحَى } أيْ: لَا يَتَّبِعُ إلَّا مَا أوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالتَّقْوَى، فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ.وَدَلَّ هَذَا عَلَى أنَّ السُّنَّةَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وَأنَّهُ مَعْصُومٌ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ شَرْعِهِ، لأنَّ كَلَامَهُ لَا يَصْدُرُ عَنْ هَوَى ، وَإنَّمَا يَصْدُرُ عَنْ وَحْيٍ يُوحَى.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ}.(النَّجم:٥).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{ثُمَّ ذَكَرَ الْمُعَلِّمَ للرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَهُوَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–،أفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ وَأقْوَاهُمْ وأكملهم، فقال: { عَلَّمَهُ [شَدِيدُ الْقُوَى] } أيْ: نَزَلَ بِالْوَحْيِ عَلَى الرَّسُولِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، { شَدِيدُ الْقُوَى} أيْ:شَدِيدُ الْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، قَوِيٌّ عَلَى تَنْفِيذِ مَا أمَرَهُ اللَّهُ بِتَنْفِيذِهِ، قَوِيٌّ عَلَى إيصَالِ الْوَحْيِ إلَى الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،

وَمَنْعِهِ مِنَ اخْتِلَاسِ الشَّيَاطِينِ لَهُ، أَوْ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لِوَحْيِهِ،أَنْ أَرْسَلَهُ مَعَ هَذَا الرَّسُولِ الْقَوِيِّ الْأَمِينِ}.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى قَلْبَ نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ تَعَالَى:{مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ}.(النَّجم:١١).

– قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } أَيْ: اتَّفَقَ فُؤَادُ الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَرُؤْيَتِهِ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَتَوَاطَأَ عَلَيْهِ سَمْعُهُ وَقَلْبُهُ وَبَصَرُهُ،وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ،وَأَنَّهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ تَلَقِّيًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَة وَلَا رَيْب، فَلَمْ يَكْذِبْ فُؤَادُهُ مَا رَأَى بَصَرُهُ،وَلَمْ يَشُكّ بِذَلِكَ.وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مَا رَأَى–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَيْلَةَ أَسْرِيَ بِهِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنَّهُ تَيَقَّنَهُ حَقًّا بِقَلْبِهِ وَرُؤْيَتِهِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ رُؤْيَةُ الرَّسُولِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لِرَبِّهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَتَكْلِيمُهُ إِيَّاهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَأَثْبَتُوا بِهَذَا رُؤْيَةَ الرَّسُولِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لِرَبِّهِ فِي الدُّنْيَا،وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ،مَرَّةً فِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى، تَحْتَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لَيْلَةَ أَسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–}.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى بصَرَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ}.(النَّجم:١٧).

–{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } أَيْ: مَا زَاغَ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً عَنْ مَقْصُودِهِ { وَمَا طَغَى } أَيْ: وَمَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ، وَهَذَا كَمَالُ الْأَدَبِ مِنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَنْ قَامَ مَقَامًا أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ عَنْهُ وَلَا تَجَاوَزَهُ وَلَا حَادَ عَنْهُ،وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي فَاقَ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَإِنَّ الْإِخْلَالَ يَكُونُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ: إِمَّا أَنْ لَا يَقُوم الْعَبْدُ بِمَا أُمِرَ بِهِ، أَوْ يَقُوم بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْرِيطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَاطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْحَيْدَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا مُنْتَفِيَةٌ عَنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى صَدْرَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}.(الشَّرْح:١).

–يَقُولُ تَعَالَى –مُمْتَنًا عَلَى رَسُولِهِ–: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } أيْ: نُوَسِّعُهُ لِشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالاتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ فَلَمْ يَكُنْ ضَيِّقًا حَرَجًا، لَا يَكَادُ يَنْقَادُ لِخَيْرٍ، وَلَا تَكَادُ تَجِدْهُ مُنْبَسِطًا.

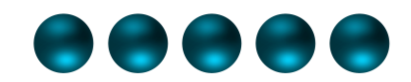
•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}.(الشَّرْح:٤)

–{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } أيْ: أَعْلَيْنَا قَدْرَكَ، وَجَعَلْنَا لَكَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ الْعَالِيَ، الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا يُذْكَرُ اللَّهُ إِلَّا ذُكِرَ مَعَهُ رَسُولُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَالْخُطَبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَعْلَى اللَّهُ بِهَا ذِكْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.وَلَهُ فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ مَا لَيْسَ لأَحَدٍ غَيْرِهِ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى أَخْلَاقَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }.(القلم:٤).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْن نَاصِر السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } أيْ: عَالِيًا بِهِ، مُسْتَعْلِيًا بِخُلُقِكَ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ، وَحَاصِلُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ، مَا فَسَّرَتْهُ بِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ،عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– لِمَنْ سَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }. { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ }.(الآية)، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } وَمَا أَشْبَه ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى اتِّصَافِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْآيَاتُ الْحَاثَّاتُ عَلَى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ فَكَانَ لَهُ مِنْهَا أَكْمَلُهَا وَأَجَلُّهَا، وَهُوَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْهَا، فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا، فَكَانَ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–سَهْلًا لَيِّنًا، قَرِيبًا مِنَ النَّاسِ، مُجِيبًا لِدَعْوَةِ مَنْ دَعَاهُ،

قَاضِيًا لِحَاجَة مَنِ اسْتَقْضَاهُ، جَابِرًا لِقَلْبِ مَنْ سَأَلَهُ،لَا يَحْرِمُهُ،وَلَا يَرُدُّهُ خَائِبًا،وَإِذَا أَرَادَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ أَمْرًا وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ، وَتَابَعَهُمْ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَحْذُورٌ، وَإِنْ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَسْتَبِدّ بِهِ دُونَهُمْ ، بَلْ يُشَاوِرُهُمْ وَيُؤَامِرُهُمْ ، وَكَان يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَعْفُو عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُعَاشِرُ جَلِيسًا لَهُ إِلَّا أَتَمَّ عِشْرَةٍ وَأَحْسَنَهَا، فَكَانَ لَا يَعْبَسُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يَغْلُظُ عَلَيْهِ فِي مَقَالِهِ، وَلَا يَطْوِي عَنْهِ بِشْرَهُ، وَلَا يُمْسِكُ عَلَيْهِ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ مِنْ جَفْوَةٍ، بَلْ يُحْسِنُ إِلَي عَشِيرِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَيَحْتَمِلُهُ غَايَةَ الاحْتِمَالِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–}.



(د)غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا(١)لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا}.(الفتح:١–٢).

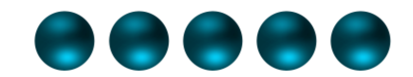
–هَذَا الْفَتْحُ الْمَذْكُورُ هُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَة، حِينَ صَدَّ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَ مُعْتَمِرًا فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ، صَارَ آخِرُ أَمْرِهَا أَنْ صَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَشْر سِنِين، وَعَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَعَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَحِلْفِهِمْ دَخَلَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَقْدِهِ فَعَلَ.

وَبِسَبَبِ ذَلِكَ لَمَّا أَمِنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، اتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الدَّعْوَةِ لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَارَ كُلُّ مُؤمِنٍ بِأَيِّ مَحِلٍّ كَانَ مِنْ تِلْكَ الْأَقْطَارِ، يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمْكَنَ الْحَرِيصَ عَلَى الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ، فَدَخَلَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ فَتْحًا، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ

فَتْحٌ مُبِينٌ أيْ: ظَاهِرٌ جَلِيٌّ، وَذَلِكَ لأنَّ الْمَقْصُودَ فِي فَتْحِ بُلْدَانِ الْمُشْرِكِينَ إعْزَازُ دِينِ اللَّهِ، وَانْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا حَصَلَ بِذَلِكَ الْفَتْحِ.

-وَرَتَّبَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ عِدَّةَ أمُورٍ، فَقَالَ: { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ }.،وَذَلِكَ -وَاللَّهُ أعْلَمُ- بِسَبَبِ مَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ، وَالدُّخُولِ فِي الدِّينِ بِكَثْرَةٍ، وَبِمَا تَحَمَّلَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الَّتِي لَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا إلَّا أولُو الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،وَهَذَا مِنْ أعْظَمِ مَنَاقِبِهِ وَكَرَامَاتِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأخَّرَ.

-{وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} بِإعْزَازِ دِينِكَ، وَنَصْرِكَ عَلَى أعْدَائِكَ، وَاتِّسَاعِ كَلِمَتِكَ، { وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } تَنَالُ بِهِ السَّعَادَةَ الْأبَدِيَّةَ، وَالْفَلَاحَ السَّرْمَدِيَّ.



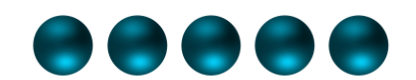
(هـ)جَعَلَ رِسَالَتَهُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أنْ جَعَلَ رِسَالَتَهُ رَحْمَةً للعَالَمِينَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ}.(الأنبياء:١٠٧).

-فَمِنْ مَظَاهِرِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّاسِ أنْ أرْسَلَ إلَيْهِمْ نَبِيَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِيَكُونَ رَحْمَةً لَهُمْ فَقَالَ :{وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} .أىْ : وَمَا أرْسَلْنَاكَ – أيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ – بِهَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ وَهُوَ دِينُ الْإسْلَامِ ، إلَّا مِنْ أجْلِ أنْ تَكُونَ رَحْمَةً للعَالَمِينَ مِنَ الْإنْسِ وَالْجِنِّ .

وَذَلِكَ لأنَّنَا قَدْ أرْسَلْنَاكَ بِمَا يُسْعِدُهُمْ فِى دِينِهِمْ وَفِى دُنْيَاهُمْ وَفِى آخِرَتِهِمْ مَتَى اتَّبَعُوكَ ، وَاسْتَجَابُوا لِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ ، وَأطَاعُوكَ فِيمَا تَأمُرُهُمْ بِهِ أوْ تَنْهَاهُمْ عَنْهُ .

-وَفِى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : { إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ } فَرِسَالَتُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَحْمَةٌ فِى ذَاتِهَا ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ انْتَفَعَ بِهَا مَنِ اسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهَا ، أَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا فَهُوَ الَّذِى ضَيَّعَ عَلَى نَفْسِهِ فُرْصَةَ الانْتِفَاعِ .



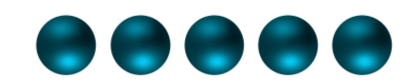
(و)عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنْ عَصَمَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ}.(المائدة:٦٧).

-هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَعْظَمِ الْأَوَامِرِ وَأَجَلِّهَا، وَهُوَ التَّبْلِيغُ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ أَمْرٍ تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ عَنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ. فَبَلَّغَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَكْمَلَ تَبْلِيغٍ، وَدَعَا وَأَنْذَرَ، وَبَشَّرَ وَيَسَّرَ، وَعَلَّمَ الْجُهَّالَ الْأُمِّيِّينَ حَتَّى صَارُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَبَلَّغَ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. فَلَمْ يَبْقَ خَيْرٌ إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ،وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَّرَهَا عَنْهُ،وَشَهِدَ لَهُ بِالتَّبْلِيغِ أَفَاضِلُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَرِجَالِ الْمُسْلِمِينَ. {وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ} أَيْ: لَمْ تُبَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ {فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} أَيْ: فَمَا امْتَثَلْتَ أَمْرَهُ. { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } هَذِهِ حِمَايَةٌ وَعِصْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مِنَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حِرْصُكَ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّبْلِيغِ، وَلَا يُثْنِيكَ عَنْهُ خَوْفٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ نَوَاصِيهِمْ بِيَدِ اللَّهِ وَقَدْ تَكَفَّلَ بِعِصْمَتِكَ، فَأَنْتَ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ،فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ،وَأَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا قَصْدَ لَهُمْ إِلَّا اتِّبَاعَ أَهْوَائِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيهِمْ وَلَا يُوَفِّقُهُمْ للخَيْرِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

–وأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٣٠٤٦)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ(٢٤٨٩)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائشَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ}.

–وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ ابْنُ حِبَّان–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–كَمَا فِي(مَوَارِدِ الظَّمْآن)للهَيْثَمِيِّ بِرَقْمِ(١٧٣٩)وَصَحَّحَهُ الْوَادِعِيُّ فِي صَحِيحِ أَسْبَابِ النُّزُولِ بِرَقْمِ(٩٩)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا نَظَرُوا أَعْظَمَ شَجَرَةٍ يَرَونَهَا فَجَعَلُوهَا لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا وَيَنْزِلُ أَصْحَابُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ فَبَيْنَمَا هُوَ نَازِلٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَقَدْ عَلَّقَ السَّيْفَ عَلَيْهَا إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ نَائِمٌ فَأَيْقَظَهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{اللَّهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ الآيةُ }.



(ز)تَفْضِيلُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:

•وَمِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنْ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى:{تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} .(البقرة:٢٥٣).

-وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}.(البقرة: ٢٥٣)هُوَ سَيِّدُنَا مَحَمَّدٌ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَصَاحِبِ الْمُعْجَزَةِ الْخَالِدَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَصَاحِبُ الرِّسَالَةِ الْجَامِعَةِ لِمَحَاسِنِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ.

-وَمِنْ تَفْضِيلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَمَعَ لَهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَكَذَلِكَ فِي عُرُوجِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَارْتِفَاعِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ كَآدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا،وَابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَا فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،

وَيُوسُفَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ،وَإِدْرِيس فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ،وَهَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ،وَمُوسَى الْكَلِيم فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،بَل وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ،هَذَا دَلِيلُ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

•وَقَرَنَ اسْمَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِلَى اسْمِهِ سُبْحَانَهُ فِي شَهَادَةِ الْحَقِّ وَالدُّخُولِ إِلَى الْإِسْلَامِ،وَيُصْدَحُ بِهَا عَلَى الْمَآذِنِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

•وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى الْإِيمَانِ بِخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}. (آل عمران: ٨١).

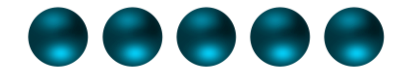
•وَمِنْ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٣١٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

–:{فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ}.

–وَفِي رِوَايَةِ الشَّيْخَيْنِ الْبُخَارِيِّ بِرَقَمِ(٤٣٨)وَمُسْلِم بِرَقَمِ(٥٢١)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–:{أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ}.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (٢٢٨٦)مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ:هَلّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ}. وَفِي رِوَايَةٍ :{مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ}.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٢٧٨)مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ}.



(ح)تَكْرِيمُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَيْنَ أُمَّتِهِ:

–لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَيْنَ أُمَّتِهِ وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:

(١)وُجوبُ اتِّبَاعِهِ وَالتَّأَسِّي بِهِ:

–قَالَ تَعَالَى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(آل عمران:٣١).

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا}. (الأحزاب:٢١).

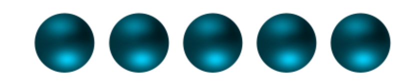
(٢)وُجوبُ طَاعَتِهِ وَالْحَذَرُ مِنْ مُخَالَفَتِهِ:

–قَالَ تَعَالَى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}.(النِّساء:٨٠).

–وَقَالَ تَعَالَى:{لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(النّور:٦٣).

–وَقَالَ تَعَالَى:{مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }.

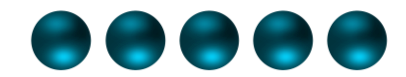
(الحشر:٧).



(٣)عَدَمُ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ عَلَى صَوْتِهِ:

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(الحجرات:١).

-وَقَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(الحجرات:٢-٥).



(٤)تَقْدِيمُ مَحَبَّتِهِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ}.(التّوبة:٢٤).

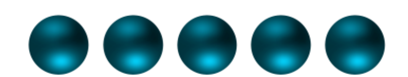
-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(١٥)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٦٣٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ-رَضِيّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ}.

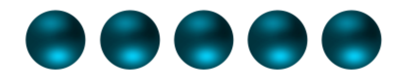
-وَكَرَّمَ مَنْ قَدَّمَ حُبَّهُ عَلَى حُبِّ النَّفْسِ أَنَّهُ سَيُحْشَر مَعَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦١٦٧)

وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٢٦٣٩)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: وَيْلَكَ! وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ -وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي- فَقَالَ: إِنْ أُخِّرَ هَذَا، فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ}.



(٥)وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ وَتَوْقِيرِهِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.(الفتح:٩).



(٦)وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.(الأحزاب:٥٦).

(ط)تَكْرِيمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

-لَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:

(١)الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَالشَّفَاعَةُ الْخَاصَّةُ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٣٣٤٠)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٩٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ -وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً. وَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرَهُ}.

–وَكَمَا ذكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ –أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ– فِي نِهَايَةِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ لَا يَحْفَظُ بَاقِيَ الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا دَلَّهُمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِبْرَاهِيمُ دَلَّهُمْ عَلَى مُوسَى، وَمُوسَى دَلَّهُمْ عَلَى عِيسَى،وَعِيسَى دَلَّهُمْ عَلَى النَّبِيِّ–مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا بَيَّنَتِ الرِّوَايَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

–وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٣٠٤)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٩٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ يَدْعُو بها، وأُرِيدُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي في الآخِرَةِ}.

(٢)الشَّهَادّةُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ:

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }.(البقرة:١٤٣).

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا}.(النِّساء:٤١).

-وأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَم(٤٤٨٧)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ}.

(٣)صَاحِبُ الْحَوْضِ وَنَهْرِ الْكَوْثَرِ:

-قَالَ تَعَالَى:{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ}.(الكوثر:١).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مُمْتَنًا عَلَيْهِ: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}أيْ:الْخَيْر الْكَثِير، وَالْفَضْل الْغَزِير، الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ، مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ النَّهْرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ { الْكَوْثَر } وَمِنَ الْحَوْضِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فِي كَثْرَتِهَا وَاسْتِنَارَتِهَا، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأ بَعْدَهَا أَبَدًا}.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَم

(٤٠٠)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ} (الكوثر:١- ٣)، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ}. زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ. وَفِي

رِوَايَة: أغْفَى رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إغْفَاءَةً، بنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مُسْهِرٍ غَيْرَ أنَّهُ قَالَ: نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ وَلَمْ يَذْكُرْ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ}.

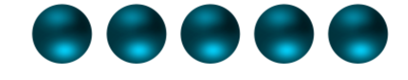
(٤)أكْثَرُ الْأنْبِيَاءِ تَبَعًا وَأوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ:

–فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٩٦)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أنَا أكْثَرُ الْأنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأنَا أوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ}.

(٥)صَاحِبُ أعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ:

–فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٨٤)مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْن عَمْرو–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أنْ أكُونَ أنَا هُوَ، فمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ}.(انْظُرْ: رِسَالَتِي"تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الْعَلِيِّ فِي فَضَائِلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ–ﷺ– ").

•هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَباللَّهِ التَّوْفِيقُ:



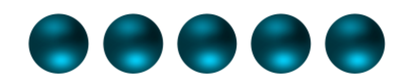
•أوَّلًا:مَفْهُومُ النِّدَاءِ:

(أ)لُغَةً:

–النِّدَاءُ لُغَةً:هُوَ الصَّوْتُ،وَالدُّعَاءُ،وَالصُّرَاخُ، وَالاجْتِمَاعُ، وَأمَّا اسْمُ الْمَكَانِ الْمُشْتَقّ مِنْهُ فَهُوَ النَّادِي، فَهُوَ مَجْلِسُ أهْلِ الْبَلَدِ، وَمَكَانُ التَّحَدُّثِ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ، وَإذَا كَانَ الرَّجُلُ ذَا صَوْتٍ حَسَنٍ فَيُقَالُ إنَّ الرَّجُلَ أنْدَى.

(ب)اصْطِلَاحًا:

–النِّدَاءُ اصْطِلَاحًا: هُوَ عَمَلِيَّةُ التَّنْبِيهِ بِأَدَاةِ الْمُنَادَاةِ (يَا)، أَوْ أَحَدِ أَخَوَاتِهَا، وَيُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ أَيْضًا بِالاسْتِدْعَاءِ، وَقَدْ عَرَّفَهُ أَحَدُ نُحَاةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنَّهُ طَلَبُ الْإِقْبَالِ بِأَحَدِ أَحْرُفِ النِّدَاءِ.



•ثَانِيًا:الْحِكْمَةُ مِنَ النِّدَاءِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ:

–الْحِكْمَةُ الرَّئِيسَةُ مِنَ أَسْلُوبِ النِّدَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ التَّنْبِيهُ وَالاهْتِمَامُ بِمَضْمُونِ الْخِطَابِ؛ لأَنَّ النِّدَاءِ يَسْتَرْعِي إِسْمَاعَ الْمُنَادَيْن. وَعِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْغَرَضِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا، قَوْلُهُمْ:{وَافْتِتَاحُ الْخِطَابِ بِالنِّدَاءِ؛ للاهْتِمَامِ بِمَا سَيُلْقَى إِلَى الْمُخَاطَبِينَ قَصْدًا لِإِحْضَارِ الذِّهْنِ لِوَعْيِ مَا سَيُقَالُ لَهُمْ}.(انْظُرْ:التَّحْرِير وَالتَّنْوِير للطّاهِر بْن عَاشُور تَفْسير سُورَة الْأنْفَال آية:٢٠).وَقَوْلُهُمْ:{إِعَادَةُ النِّدَاءِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ تَكْرِيرٌ للأَهَمِّيَّةِ، يُقْصَدُ بِهِ تَهْوِيلُ الْأَمْرِ، وَاسْتِرْعَاءُ السَّمْعِ اهْتِمَامًا بِمَا يَسْتَمِعُونَهُ}. وَقَوْلُهُمْ: {لأَنَّ النِّدَاءَ يَسْتَدْعِي إِقْبَالَ أَذْهَانِهِمْ عَلَى مَا سَيُلْقَى عَلَيْهِمْ}. وَقَوْلُهُمْ:{للتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْكَلَامِ الْوَارِدِ بَعْدَ النِّدَاءِ}. وَنَحْو ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ أَسْلُوبِ النِّدَاءِ}.

–وَالْأَصْلُ فِي النِّدَاءِ أَنْ يَكُونَ بِاسْمِ الْمُنَادَى الْعَلَمِ، إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ، نَحْو يَا أَحْمَد، وَلَا يُعْدَلُ مِنَ الاسْمِ الْعَلَمِ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ وَصْفٍ، أَوْ إِضَافَةٍ إِلَّا لِغَرَضٍ مَقْصُودٍ مِنْ تَعْظِيمٍ، وَتَكْرِيمٍ، نَحْو: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}، أَوْ تَلَطُّفٍ وَتَقَرُّبٍ، نَحْو: {يَا بَنِيّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}.(البقرة:١٣٢)، وَ {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ}.(الصَّافَّات:١٠٢)، أَوْ قَصْدِ تَهَكُّمٍ: نَحْو: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُون}.(الحجر:٦)، فَإِذَا نُودِيَ الْمُنَادَى بِوَصْفِ هَيْئَتِهِ مِنْ لِبْسَةٍ، أَوْ جِلْسَةٍ، أَوْ ضِجْعَةٍ، كَانَ الْمَقْصُودُ فِي الْغَالِبِ التَّلَطُّفَ بِهِ، وَالتَّحَبُّبَ إِلَيْهِ وَلِهَيْئَتِهِ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيل قَوْلُهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}. (المزَّمِّل:١).وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}

.(المدَّثِّر:١).وَنَحْو هَذَا قَوْل النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لـ حُذَيْفَة بْنِ الْيَمَانِ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–يَوْمَ الْخَنْدَقِ: {قُمْ يَا نَوْمَانُ}.

وَنَصُّ الْحَدِيثِ:أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٧٨٨)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ يَزِيد بْنِ شَرِيكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ:لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا –إِذْ دَعَانِي باسْمِي– أَنْ أَقُومَ، قَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ،فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ،فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: قُمْ يَا نَوْمَانُ}.

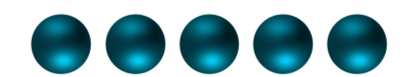
–وَقَدْ يُوضَعُ النِّدَاءُ مَوْضِعَ التَّعَجُّبِ، نَحْو قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} (يس:٣٠). قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ:{(الْحَسْرَةُ) لَا تُنَادَى، وَإِنَّمَا تُنَادَى الْأَشْخَاصُ؛ لأَنَّ فَائِدَتَهُ التَّنْبِيهُ،وَلَكِنَّ الْمَعْنَى عَلَى التَّعَجُّبِ، كَقَوْلِكَ

: يَا عَجَبًا لِمَ فَعَلْت! وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِكَ: الْعَجَبُ}.وَقَالَ ابْنُ جِنِّي:{مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتِ (الْحَسْرَةُ) مِمَّا يَصِحُّ نِدَاؤُهُ، لَكَانَ هَذَا وَقْتَهَا

.وَنَحْو هَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللهِ}. (الزُّمر:٥٦).

–وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} (يوسف:١٩). قَالُوا: مَعْنَى النِّدَاءِ فِيمَا لَا يَعْقِلُ، تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِ وَتَوْكِيدُ الْقِصَّةِ، فَإِذَا قُلْت: يَا عَجَبًا، فَكَأَنَّكَ قُلْت: اعْجَبُوا، وَفِي الْآيَةِ كَأَنَّهُ قَالَ: يَا قَوْمُ أَبْشِرُوا.

–وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} (يوسف:٤٨)، نِدَاءُ (الْأَسَف) مَجَازٌ، نَزَلَ (الْأَسَفُ) مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْقِلُ.



•ثَالِثًا:نِدَاءَاتُ الرَّسُولِ فِي الْقُرْآنِ:

–مِنْ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَادَى جَمِيعَ أَنْبِيَائِهِ بِأَسْمَائِهِمُ الْمُجَرَّدَةِ إِلَّا النَّبِيّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَلْ نَادَاهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ،بِاللَّقَبِ الدَّالِّ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ بِعِزِّ النُّبُوَّةِ وَشَرَفِ الرِّسَالَةِ.

–مِثْل قَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا ادمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}.(البقرة:٣٥).

–وَقَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ}.(آل عمران: ٥٥).

–وَقَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى}.(طه: ١٧).

–وَقَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (١٠٤)قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}. (الصّافات: ١٠٤، ١٠٥).

–وَقَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا}.(مريم: ٧).

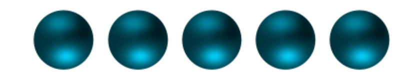
– وَقَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا يَحيِ:{يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}.(مريم:١٢).

–وَقَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا دَاوُد عَلَيْهِ السَّلامُ: {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ}.(ص:٢٦).

•وَعِنْدَمَا نَادَى خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ نَادَاهُ بِأحَبِّ الْألْقَابِ فَقَالَ:{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.(المائدة: ٦٧).

–وَقَالَ تَعَالَى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}.(الأحزاب: ٤٥).

–وَعِنْدَ الْإِخْبَارِ أضَافَ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ إلَى اسْمِهِ فَقَالَ تَعَالَى:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا}.(الفتح:٢٩).



•وَمِنَ الْمَعْلُومِ أنَّ الْخِطَابَاتِ الَّتِي وَجَّهَهَا اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ تَنْقَسِمُ إلَى أقْسَامٍ:

(١)خِطَابَات لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِين ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}. (المائدة:١).

(٢)خِطَابَات مُوَجَّهَةٌ إلَى الرَّسُولِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَهِيَ عَلَى أحْوَالٍ:

(أ) خِطَابَات خَاصَّة بِالنَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَلَا تَدْخُلُ الْأمَّةُ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :{يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}.(المزَّمِّل:١) ،وَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}.(المدَّثِّر:١).

(ب)خِطَابَات مُوَجَّهَةٌ إلَى الرَّسُولِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى دُخُولِ أمَّتِهِ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ

حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}.(الطَّلاق:١)، وقوله:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}. (التَّحريم:١-٢).

-قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي أحْكَامِ الْقُرْآنِ:٢/٥٧٦ :{الْخِطَابَ فِي الْقُرْآنِ لَمْ يَرِدْ بَابًا وَاحِدًا، وَلَكِنْ اخْتَلَفَتْ مَوَارِدُهُ عَلَى وُجُوهٍ ، مِنْهَا فِي غَرَضِنَا هَذا ثَلَاثَةٌ:

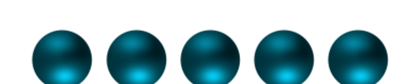
-الْأَوَّلُ: خِطَابٌ تَوَجَّهَ إلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، كَقَوْلِ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ}.(المائدة:٦) وَكَقَوْلِهِ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}.(البقرة:١٨٣). وَنَحْوِهِ.

-الثَّانِي:خِطَابٌ خُصَّ بِهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَقَوْلِهِ:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ}.(الإسراء: ٧٩).وَكَقَوْلِهِ فِي آيَةِ الْأَحْزَابِ:{خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}. (الأحزاب:٥٠)؛ فَهَذَانِ مِمَّا أُفْرِدَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِهِمَا، وَلَا يَشْرَكُهُ فِيهِمَا أَحَدٌ، لَفْظًا وَمَعْنًى، لِمَا وَقَعَ الْقَوْلُ بِهِ كَذَلِكَ.

-الثَّالِثُ:خِطَابٌ خُصَّ بِهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَوْلًا، وَيَشْرَكُهُ فِيهِ جَمِيعُ الْأُمَّةِ مَعْنًى وَفِعْلًا، كَقَوْلِهِ:{أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}.(الإسراء:٧٨)، وَكَقَوْلِهِ: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}.(النَّحل:٩٨)، وَكَقَوْلِهِ: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ}.(النِّساء:١٠٢).

-فَكُلُّ مَنْ دَلَكَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مُخَاطَبٌ بِالصَّلَاةِ،وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ مُخَاطَبٌ بِالِاسْتِعَاذَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ خَافَ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ.

-وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}.(التَّوبة:١٠٣). فَإِنَّهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْآمِرُ بِهَا، وَالدَّاعِي إلَيْهَا، وَهُمْ الْمُعْطُونَ لَهَا، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ قَوْلُهُ:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}.(الأحزاب:١).وَ:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}.(الطَّلاق:١)}. انْتَهَى.

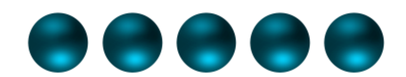


•وبِنَاءً عَلَى هَذَا فَلَا يَصِحُّ إيرَادُ الْآيَاتِ الْخَاصَّةِ بِالنَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي حَقِّ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَمَثَلًا قَوْلُهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}.(الضُّحى:٥) ، يَعْنِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيُعْطِي عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، مَا يَحْصُلُ لَهُ بِهِ تَمَامُ الرِّضَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

–قَالَ الشَّوْكَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ:٥ /٦٤٩:{وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُعْطِيهِ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَأَقْدَمِهِ لَدَيْهِ قَبُولُ شَفَاعَتِهِ لأُمَّتِهِ}.انْتَهَى.

–وَمِثْلُ هَذَا لَا يَعُمُّ كُلَّ أحَدٍ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، وَالْقَطْعُ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِعَطَاءٍ مِنَ اللهِ حَتَّى الرِّضَا، لَا يَجُوزُ إِلَّا بِالنَّصِّ الشَّرْعِيِّ.

•وَالْآن مَعَ وَقْفَةٍ تَدَبُّرِيَّةٍ لِبَعْضِ نِدَاءَاتِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:



•نِدَاءَاتُ الْقُرْآنِ بِصِيغَةِ:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}:

–وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهَا النِّدَاءُ لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِصِيغَةِ{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ}.(الأنفال:٦٤).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–

فِي تَفْسِيرِهَا:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ} أيْ: كَافِيكَ {وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أيْ: وَكَافِي أَتْبَاعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ، بِالْكِفَايَةِ وَالنُّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

فَإِذَا أَتَوْا بِالسَّبَبِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَالاتِّبَاعُ، فَلَابُدَّ أَنْ يَكْفِيَهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ مِنْ أُمُورِ الدِّين وَالدُّنْيَا، وَإِنَّمَا تَتَخَلَّفُ الْكِفَايَةُ بِتَخَلُّفِ شَرْطِهَا}.

(٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ}.(الأنفال:٦٥).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–

فِي تَفْسِيرِهَا–:{يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} أيْ: حُثُّهُمْ وَأنْهِضْهُمْ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا يُقَوِّي عَزَائِمَهُمْ وَيُنَشِّطُ هِمَمَهُمْ، مِنَ التَّرْغِيبِ فِي الْجِهَادِ وَمُقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ، وَالتَّرْهِيبِ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ، وَذِكْرِ فَضَائِلِ الشَّجَاعَةِ وَالصَّبْرِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذِكْرِ مَضَارِّ الْجُبْنِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ الْمُنْقِصَةِ للدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ، وَأَنَّ الشَّجَاعَةَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِمْ {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ} أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ {عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يَكُونُ الْوَاحِدُ بِنِسْبَةِ عَشَرَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ.وَذَلِكَ بِأَنَّ الْكُفَّارَ {قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} أيْ:لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ للمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، فَهُمْ يُقَاتِلُونَ لأَجْلِ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ وَالْفَسَادِ فِيهَا.وَأَنْتُمْ تَفْقَهُونَ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقِتَالِ، أَنَّهُ لإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ، وَالذَّبِّ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَحُصُولِ الْفَوْزِ الْأَكْبَرِ عِنْدَ اللَّهِ.وَهَذِهِ كُلُّهَا دَوَاعٍ للشَّجَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الْقِتَالِ}.

(٣)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(الأنفال:٧٠).

–وَهَذِهِ نَزَلَتْ فِي أَسَارَى يَوْمِ بَدْرٍ، وَكَانَ فِي جُمْلَتِهِمُ الْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا طَلَبَ مِنْهُ الْفِدَاءَ، ادَّعَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يُسْقِطُوا عَنْهُ الْفِدَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرًا

لِخَاطِرِهِ وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ حَالِه. {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ} أيْ: مِنَ الْمَالِ، بِأنْ يُيَسِّرَ لَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، خَيْرًا وَأَكْثَرَ مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ. {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ذُنُوبَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ وَقَدْ أنْجَزَ اللّهُ وَعْدَهُ للعَبَّاسِ وَغَيْرِهِ، فَحَصَلَ لَهُ ـ بَعْدَ ذَلِكَ ـ مِنَ الْمَالِ شَيءٌ كَثِيرٌ، حَتَّى إنَّهُ مَرَّةً لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَالٌ كَثِيرٌ، أتَاهُ الْعَبَّاسُ فَأمَرَهُ أنْ يَأخُذَ مِنْهُ بِثَوْبِهِ مَا يُطِيقُ حَمْلَهُ، فَأخَذَ مِنْهُ مَا كَادَ أنْ يَعْجَزَ عَنْ حَمْلِهِ.

(٤)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ}.(التَّوبة:٧٣).

–يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} أيْ: بَالِغْ فِي جِهَادِهِمْ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ اقْتَضَتِ الْحَالُ الْغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ.وَهَذَا الْجِهَادُ يَدْخُلُ فِيهِ الْجِهَادُ بِالْيَدِ، وَالْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، فَمَنْ بَارَزَ مِنْهُمْ بِالْمُحَارَبَةِ فَيُجَاهَدُ بِالْيَدِ، وَاللِّسَانِ وَالسَّيْفِ وَالْبَيَانِ.

وَمَنْ كَانَ مُذْعِنًا للإِسْلَامِ بِذِمَّةٍ أوْ عَهْدٍ، فَإنَّهُ يُجَاهَدُ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ وَيُبَيَّنُ لَهُ مَحَاسِنُ الْإِسْلَامِ، وَمَسَاوِئُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، فَهَذَا مَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا.{وَ} أمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَـ {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أيْ: مَقَرُّهُمُ الَّذِي لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

(٥)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.(الأحزاب:١).

–أيْ: يَا أيُّهَا الَّذِي مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَاخْتَصَّهُ بِوَحْيِهِ، وَفَضْلِهِ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، اشْكُرْ نِعْمَةَ رَبِّكَ عَلَيْكَ، بِاسْتِعْمَالِ تَقْوَاهُ، الَّتِي أنْتَ أوْلَى بِهَا مِنْ غَيْرِكَ، وَالَّتِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا، أعْظَمُ مِنْ سِوَاكَ، فَامْتَثِلْ أوَامِرَهُ وَنَوَاهِيهِ، وَبَلِّغْ رِسَالَاتِهِ، وَأدِّ إلَى عِبَادِهِ وَحْيَهُ، وَابْذُلِ النَّصِيحَةَ للخَلْقِ.

وَلْيَقْتَدِ بِكَ الْمُؤْمِنُونَ؛ لأنَّهُمْ أحْوَجُ إلَى ذَلِكَ مِنْكَ،وَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْ هَذَا الْمَقْصُودِ صَادٌّ، وَلَا يَرُدَّكَ عَنْهُ رَادٌّ، فَلَا تُطِعْ كُلَّ كَافِرٍ، قَدْ أظْهَرَ الْعَدَاوَةَ للّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا مُنَافِقٍ، قَدِ اسْتَبْطَنَ التَّكْذِيبَ وَالْكُفْرَ، وَأظْهَرَ ضِدَّهُ.

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَلَا تُطِعْهُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، الَّتِي تَنْقُضُ التَّقْوَى، وَتُنَاقِضُهَا، وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ، فَيُضِلُّوكَ عَنِ الصَّوَابِ.إنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ شَيءٍ، حَكِيمًا فِي خَلْقِهِ وَأمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

(٦)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا}.(الأحزاب:٢٨).

-لَمَّا اجْتَمَعَ نِسَاءُ رَسُولِ اللّهِ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي الْغَيْرَةِ،وطَلَبْنَ مِنْهُ النَّفَقَةَ وَالْكِسْوَةَ، طَلَبْنَ مِنْهُ أمْرًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَمْ يَزَلْنَ فِي طَلَبِهِنَّ مُتَّفِقاتٍ، فِي مُرَادِهِنَّ مُتَعَنِّتَاتٍ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّسُولِ، حَتَّى وَصَلَتْ بِهِ الْحَالُ إلَى أنَّهُ آلَى مِنْهُنَّ شَهْرًا.فَأَرَادَ اللّهُ أنْ يُسَهِّلَ الْأمْرَ عَلَى رَسُولِهِ، وَأنْ يَرْفَعَ دَرَجَةَ زَوْجَاتِهِ، وَيُذْهِبَ عَنْهُنَّ كُلَّ أمْرٍ يُنْقِصُ أجْرَهُنَّ، فَأمَرَ رَسُولَهُ أنْ يُخَيِّرَهُنَّ فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } أيْ: لَيْسَ لَكُنَّ فِي غَيْرِهَا مَطْلَبٌ، وَصِرْتُنَّ تَرْضَيْنَ لِوُجُودِهَا، وَتَغْضَبْنَ لِفَقْدِهَا، فَلَيْسَ لِي فِيكُنَّ أرَبٌ وَحَاجَةٌ، وَأنْتُنَّ بِهَذِهِ الْحَالِ.{ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ } شَيْئًا مِمَّا عِنْدِي، مِنَ الدُّنْيَا { وَأُسَرِّحْكُنَّ } أيْ: أفَارِقْكُنَّ { سَرَاحًا جَمِيلًا } مِنْ دُونِ مُغَاضَبَةٍ وَلَا مُشَاتَمَةٍ، بَلْ بِسَعَةِ صَدْرٍ، وَانْشِرَاحِ بَالٍ، قَبْلَ أنْ تَبْلُغَ الْحَالُ إلَى مَا لَا يَنْبَغِي.

(٧)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا(٤٥)وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}.(الأحزاب:٤٥-٤٦).

-هَذِهِ الْأشْيَاءُ، الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، هِيَ الْمَقْصُودُ مِنْ رِسَالَتِهِ، وَزُبْدَتُهَا وَأصُولُهَا، الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا، وَهِيَ خَمْسَةُ أشْيَاء:

-أحَدُهَا: كَوْنُهُ { شَاهِدًا } أيْ: شَاهِدًا عَلَى أمَّتِهِ بِمَا عَمِلُوهُ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} فَهُوَ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَاهِدُ عَدْلٍ مَقْبُولٍ.

-الثَّانِي، وَالثَّالِثُ: كَوْنُهُ { مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ الْمُبَشَّرِ وَالْمُنْذَرِ، وَمَا يُبَشَّرُ بِهِ وَيُنْذَرُ، وَالْأعْمَالَ الْمُوجِبَةَ لِذَلِكَ.

فَالْمُبَشَّرُ هُمُ: الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِكُلِّ ثَوَابٍ دُنْيَوِيٍّ وَدِينِيٍّ، رُتِّبَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَفِي الْأُخْرَى بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(النّحل:٩٧).،وَكَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ}.(فصّلت:٣٠-٣٢).

وَذَلِكَ كُلُّهُ يَسْتَلْزِمُ، ذِكْرَ تَفْصِيلِ الْمَذْكُورِ، مِنْ تَفَاصِيلِ الْأَعْمَالِ، وَخِصَالِ التَّقْوَى، وَأَنْوَاعِ الثَّوَابِ.

وَالْمُنْذَرُ هُمُ: الْمُجْرِمُونَ الظَّالِمُونَ، أَهْلُ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ، لَهُمُ النَّذَارَةُ فِي الدُّنْيَا، مِنَ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ ،وَفِي الْأُخْرَى، بِالْعِقَابِ الْوَبِيلِ، وَالْعَذَابِ الطَّوِيلِ.

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَفْصِيلُهَا، مَا جَاءَ بِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى ذَلِكَ.

-الرَّابِعُ:{ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ } أيْ: أَرْسَلَهُ اللَّهُ، يَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَسُوقُهُمْ لِكَرَامَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَتِهِ، الَّتِي خُلِقُوا لَهَا، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ اسْتِقَامَتَهُ، عَلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَذِكْرَ تَفَاصِيلِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، بِتَعْرِيفِهِمْ لِرَبِّهِمْ بِصِفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَذِكْرَ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى اللّهِ بِأَقْرَبِ طَرِيقٍ مُوَصِّلٍ إِلَيْهِ، وَإِعْطَاءَ كُلّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَإِخْلَاصَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّهِ، لَا إِلَى نَفْسِهِ وَتَعْظِيمِهَا، كَمَا قَدْ يَعْرِضُ ذَلِكَ لِكَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى لَهُ فِي الدَّعْوَةِ وَأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدَرِهِ.

-الْخَامِسُ: كَوْنُهُ { سِرَاجًا مُنِيرًا } وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ عَظِيمَةٍ، لَا نُورٌ، يُهْتَدَى بِهِ فِي ظُلُمَاتِهَا، وَلَا عِلْمٌ، يُسْتَدَلُّ بِهِ فِي جَهَالَاتِهَا حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، فَأَضَاءَ اللَّهُ بِهِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَاتِ، وَهَدَى بِهِ ضُلَّالًا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.فَأَصْبَحَ أَهْلُ الاسْتِقَامَةِ،

قَدْ وَضَحَ لَهُمُ الطَّرِيقُ، فَمَشَوْا خَلْفَ هَذَا الْإِمَامِ وَعَرَفُوا بِهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَأَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشّقَاوَةِ، وَاسْتَنَارُوا بِهِ، لِمَعْرِفَةِ مَعْبُودِهِمْ، وَعَرَفُوهُ بِأَوْصَافِهِ الْحَمِيدَةِ، وَأَفْعَالِهِ السَّدِيدَةِ، وَأَحْكَامِهِ الرَّشِيدَةِ.

(٨)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.(الأحزاب:٥٠).

–أيْ:يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إنَّا أبَحْنَا لَكَ أزْوَاجَكَ اللَّاتِي أعْطَيْتَهُنَّ مُهُورَهُنَّ، وَأبَحْنَا لَكَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَ الْإِمَاءِ، مِمَّا أنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ، وَأبَحْنَا لَكَ الزَّوَاجَ مِنْ بَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ،وَأبَحْنَا لَكَ امْرَأةً مُؤْمِنَةً مَنَحَتْ نَفْسَهَا لَكَ مِنْ غَيْرِ مَهْرٍ، إنْ كُنْتَ تُرِيدُ الزَّوَاجَ مِنْهَا خَالِصَةً لَكَ، وَلَيْسَ لِغَيْرِكَ أنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأةً بِالْهِبَةِ. قَدْ عَلِمْنَا مَا أوْجَبْنَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي أزْوَاجِهِمْ وَإمَائِهِمْ بَألَّا يَتَزَوَّجُوا إلَّا أرْبَعَ نِسْوَةٍ، وَمَا شَاؤُوا مِنَ الْإِمَاءِ، وَاشْتِرَاط الْوَلِيِّ وَالْمَهْرِ وَالشُّهُودِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّا رَخَّصْنَا لَكَ فِي ذَلِكَ، وَوَسَّعْنَا عَلَيْكَ مَا لَمْ يُوَسَّعْ عَلَى غَيْرِكَ؛ لِئَلَّا يَضِيقُ صَدْرُكَ فِي نِكَاحِ مَنْ نَكَحْتَ مِنْ هَؤلَاءِ الْأصْنَافِ. وَكَانَ اللهُ غَفُورًا لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمًا بِالتَّوْسِعَةِ عَلَيْهِمْ.

(٩)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}. (الأحزاب:٥٩).

–هَذِهِ الْآيَةُ، الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الْحِجَابِ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، أنْ يَأمُرَ النِّسَاءَ عُمُومًا، وَيَبْدَأُ بِزَوْجَاتِهِ وَبَنَاتِهِ، لأنَّهُنَّ آكِدُ مِنْ غَيْرِهِنَّ، وَلأنَّ الْآمِرَ لِغَيْرِهِ يَنْبَغِي أنْ يَبْدَأَ بِأهْلِهِ، قَبْلَ غَيْرِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.(التّحريم:٦).

أنْ { يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ } وَهُنَّ اللَّاتِي يَكُنَّ فَوْقَ الثِّيَابِ مِنْ مَلْحَفَةٍ وَخِمَارٍ وَرِدَاءٍ وَنَحْوِهِ، أيْ: يُغَطِّينَ بِهَا، وُجُوهَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ.

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةَ ذَلِكَ، فَقَالَ: { ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ } دَلَّ عَلَى وُجُودِ أذِيَّةٍ، إنْ لَمْ يَحْتَجِبْنَ، وَذَلِكَ، لأنَّهُنَّ إذَا لَمْ يَحْتَجِبْنَ، رُبَّمَا ظَنَّ أنَّهُنَّ غَيْرُ عَفِيفَاتٍ، فَيَتَعَرَّضُ لَهُنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ،فَيُؤْذِيهِنَّ،وَرُبَّمَا اسْتُهِينَ بِهِنَّ، وَظَنَّ أنَّهُنَّ إمَاءٌ، فَتَهَاوَنَ بِهِنَّ مَنْ يُرِيدُ الشَّرَّ. فَالاحْتِجَابُ حَاسِمٌ لِمَطَامِعِ الطَّامِعِينَ فِيهِنَّ.

{ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } حَيْثُ غَفَرَ لَكُمْ مَا سَلَفَ، وَرَحِمَكُمْ، بِأنْ بَيَّنَ لَكُمُ الْأحْكَامَ، وَأوْضَحَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَهَذَا سَدٌّ لِلبَابِ مِنْ جِهَتِهِنَّ.

(١٠)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍۢ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍۢ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(الممتحنة:١٢).

–الْمَعْنَى:يَا أيُّهَا النَّبِيُّ إذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ يُعَاهِدْنَكَ عَلَى ألَّا يَجْعَلْنَ مَعَ اللهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْرِقْنَ شَيْئًا، وَلَا يَزْنِينَ، وَلَا يَقْتُلْنَ أوْلَادَهُنَّ بَعْدَ الْوِلَادَةِ أوْ قَبْلَهَا، وَلَا يُلْحِقْنَ بِأزْوَاجِهِنَّ أوْلَادًا لَيْسُوا مِنْهُمْ، وَلَا يُخَالِفْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ تَأمُرُهُنَّ بِهِ، فَعَاهِدْهُنَّ عَلَى ذَلِكَ، وَاطْلُبْ لَهُنَّ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

(١١)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍۢ مُّبَيِّنَةٍۢ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ

ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}.(الطّلاق:١).

-الْمَعْنَى:يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرَدْتُمْ- أَنْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ- أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ فَطَلِّقُوهُنَّ مُسْتَقْبَلَات لِعِدَّتِهِنَّ -أَيْ فِي طُهْرٍ لَمْ يَقَعْ فِيهِ جِمَاعٌ، أَوْ فِي حَمْلٍ ظَاهِرٍ- وَاحْفَظُوا الْعِدَّةَ؛ لِتَعْلَمُوا وَقْتَ الرَّجْعَةِ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُرَاجِعُوهُنَّ، وَخَافُوا اللهَ رَبَّكُمْ، لَا تُخْرِجُوا الْمُطَلَّقَاتِ مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي يَسْكُنَّ فِيهَا إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ، وَهِيَ ثَلَاثُ حَيْضَاتٍ لِغَيْرِ الصَّغِيرَةِ وَالْآيِسَةِ وَالْحَامِلِ، وَلَا يَجُوزُ لَهُنَّ الْخُرُوجُ مِنْهَا بِأَنْفُسِهِنَّ، إِلَّا إِذَا فَعَلْنَ فَعْلَةً مُنْكَرَةً ظَاهِرَةً كَالزِّنَى، وَتِلْكَ أَحْكَامُ اللهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ، وَمَنْ يَتَجَاوَزْ أَحْكَامَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَأَوْرَدَهَا مَوْرِدَ الْهَلَاكِ. لَا تَدْرِي- أَيُّهَا الْمُطَلِّقُ-: لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ الطَّلَاقِ أَمْرًا لَا تَتَوَقَّعُهُ فَتُرَاجِعُهَا.

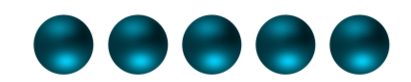
(١٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(التَّحريم:١).

-هَذَا عِتَابٌ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،حِينَ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ سُرِيَّتَهُ (مَارِيَّة) أَوْ شُرْبَ الْعَسَلِ، مُرَاعَاةً لِخَاطِرِ بَعْضِ زَوْجَاتِهِ، فِي قِصَّةٍ مَعْرُوفَةٍ أَخْرَجَهَا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٦٩١)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-:

أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ، فَنَزَلَتْ: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}.(التَّحريم:١).{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ}.(التَّحريم:٤) لِعَائِشَةَ وحَفْصَةَ. {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

حَدِيثًا}.(التَّحريم:٣]) لِقَوْلِهِ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا}. وَفِي رِوَايَةٍ: {وَلَنْ أعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكِ أحَدًا}.

فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } أيْ: يَا أيُّهَا الَّذِي أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ { لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } مِنَ الطَّيِّبَاتِ، الَّتِي أنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ.{ تَبْتَغِي } بِذَلِكَ التَّحْرِيمِ { مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } هَذَا تَصْرِيحٌ بِأنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِرَسُولِهِ، وَرَفَعَ عَنْهُ اللَّوْمَ، وَرَحِمَهُ، وَصَارَ ذَلِكَ التَّحْرِيمُ الصَّادِرُ مِنْهُ، سَبَبًا لِشَرْعِ حُكْمٍ عَامٍّ لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ،فَقَالَ تَعَالَى حَاكِمًا حُكْمًا عَامًّا فِي جَمِيعِ الْأَيْمَانِ:{ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ } أيْ:قَدْ شَرَعَ لَكُمْ، وَقَدَّرَ مَا بِهِ تَنْحَلُّ أيْمَانُكُمْ قَبْلَ الْحِنْثِ، وَمَا بِهِ الْكَفَّارَةُ بَعْدَ الْحِنْثِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا } إلَى أنْ قَالَ: { فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ } .



•نِدَاءَاتُ النَّبِيِّ الَّتِي بَدَأتْ بِصِيغَةِ:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ}:

(١)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.(المائدة:٤١).

–الْمَعْنَى:يَا أيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي جُحُودِ نُبُوَّتِكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَقُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ مِنْهُ، فَإنِّي نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ. وَلَا يَحْزُنْكَ تَسَرُّعُ الْيَهُودِ إلَى إنْكَارِ نُبُوَّتِكَ، فَإنَّهُمْ

قَوْمٌ يَسْتَمِعُونَ للكَذِبِ، وَيَقْبَلُونَ مَا يَفْتَرِيهِ أَحْبَارُهُمْ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَا يَحْضُرُونَ مَجْلِسَكَ، وَهَؤُلَاءِ الْآخَرُونَ يُبَدِّلُونَ كَلَامَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ، وَيَقُولُونَ: إِنْ جَاءَكُمْ مِنْ مُحَمَّدٍ مَا يُوَافِقُ الَّذِي بَدَّلْنَاهُ وَحَرَّفْنَاهُ مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْهُ مَا يُخَالِفُهُ فَاحْذَرُوا قَبُولَهُ، وَالْعَمَلَ بِهِ. وَمَنْ يَشَأ اللهُ ضَلَالَتَهُ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُ، وَلَا تَقْدِرَ عَلَى هِدَايَتِهِ. وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ، لَهُمُ الذُّلُّ وَالْفَضِيحَةُ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

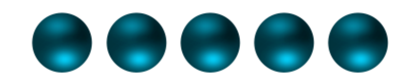
(٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ}. (المائدة:٦٧).

-هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِأَعْظَمِ الْأَوَامِرِ وَأَجَلِّهَا، وَهُوَ التَّبْلِيغُ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ أَمْرٍ تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ عَنْهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ. فَبَلَّغَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَكْمَلَ تَبْلِيغٍ، وَدَعَا وَأَنْذَرَ، وَبَشَّرَ وَيَسَّرَ، وَعَلَّمَ الْجُهَّالَ الْأُمِّيِّينَ حَتَّى صَارُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَبَلَّغَ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.فَلَمْ يَبْقَ خَيْرٌ إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَشَهِدَ لَهُ بِالتَّبْلِيغِ أَفَاضِلُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَرِجَالِ الْمُسْلِمِينَ. { وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ } أَيْ: لَمْ تُبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ { فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } أَيْ: فَمَا امْتَثَلْتَ أَمْرَهُ. { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } هَذِهِ حِمَايَةٌ وَعِصْمَةٌ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ مِنَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حِرْصُكَ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّبْلِيغِ، وَلَا يُثْنِيكَ عَنْهُ خَوْفٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ نَوَاصِيَهُمْ بِيَدِ اللهِ وَقَدْ تَكَفَّلَ بِعِصْمَتِكَ، فَأَنْتَ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا قَصْدَ لَهُمْ إِلَّا اتِّبَاعَ أَهْوَائِهِمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِيهِمْ وَلَا يُوَفِّقُهُمْ للخَيْرِ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

•فَهَذِهِ النِّدَاءَاتُ الرَّبَّانِيَّةِ للنَّبِيِّ الْأَمِينِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِيهَا بَيَانٌ لِمَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمِ شَأنِهِ وَحَثٌّ عَلَى مُرَاعَاةِ حُقُوقِهِ مِنْ الْإيمَانِ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَصِدْقِ اتِّبَاعِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَالدِّفَاعِ عَنْ شَرِيعَتِهِ،وَالْحَذَرِ مِنْ مُخَالَفَةِ أمْرِهِ،وَالْإِكْثَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ،

وَوُجُوبِ التَّحَاكُمِ إلَيْهِ وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ،

وَإِنْزَالِهِ مَكَانَتِهِ بِلَا غُلُوٍّ وَبِلَا جَفَاءٍ.



•فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْأَوَّلِين،

وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْآخِرِين،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى إلَى يَوْمِ الدِّين،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت بحمد الله

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

